

إحياء علوم الدين

بذكر ا .

ولا شك في أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة أولى بهم .
ولذلك كان A في ابتداء أمره يتبتل في جبل حراء وينعزل إليه حتى قوي فيه نور النبوة //
حديث كان A في أول أمره يتبتل في جبل حراء وينعزل إليه متفق عليه من حديث عائشة نحوه
فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه الحديث // .

فكان الخلق لا يحبونه عن ا فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على ا تعالى حتى كان
الناس يظنون أن أبا بكر خليله .

فأخبر النبي A عن استغراق همه با فقال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن
صاحبكم خليل ا // حديث لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل ا
أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم // .

ولن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا والإقبال على ا سرا إلا قوة النبوة فلا ينبغي أن
يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك ولا يبعد أن تنتهي درجة بعض الأولياء إليه .
فقد نقل عن الجنيد أنه قال أنا أكلم ا منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أنني أكلمهم .
وهذا إنما يتيسر للمستغرق بحب ا استغراقا لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ففي
المشتهرين بحب الخلق من يخالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول ولا ما يقال له لفرط عشقه
لمحبوبه .

بل الذي دهاه ملم يشوش عليه أمرا من أمور دنياه فقد يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس
ولا يحس بهم ولا يسمع أصواتهم لشدة استغراقه .

وأمر الآخرة أعظم عند العقلاء فلا تستحيل ذلك فيه ولكن الأولى بالأكثرين الاستعانة بالعزلة
.

ولذلك قيل لبعض الحكماء ما الذي أرادوا بالخلوة واختيار العزلة فقال يستدعون بذلك
دوام الفكرة وتثبت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة .

وقيل لبعض الرهبان ما أصبرك على الوحدة فقال ما أنا وحدي أنا جليس ا تعالى إذا شئت
أن يناجيني قرأت كتابه وإذا شئت أن أناجيه صليت .

وقيل لبعض الحكماء إلى أي شيء أفضى بكم الزهد والخلوة فقال إلى الأنس با .

وقال سفيان بن عيينة لقيت إبراهيم ابن أدهم C في بلاد الشام فقلت له يا إبراهيم تركت
خراسان فقال ما تهنأت بالعيش إلا ههنا أفر بديني من شاهق إلى شاهق فمن يراني يقول موسوس

أو حمال أو ملاح .

وقيل لغزوان الرقاشي هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة إخوانك قال إني أصيب راحة قلبي في مجالسة من عنده حاجتي .

وقيل للحسن يا أبا سعيد ههنا رجل لم تره قط جالسا إلا وحده خلف سارية .

فقال الحسن إذا رأيتموه فأخبروني به فنظروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي أخبرناك به وأشاروا إليه فمضى إليه الحسن وقال له .

يا عبد الله أراك قد حبت إليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس فقال أمر شغلني عن الناس قال فما يمنعك أن تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس إليه فقال أمر شغلني عن الناس .

وعن الحسن فقال له الحسن وما ذاك الشغل يرحمك الله فقال إني أصبح وأمسي بين نعمة وذنوب فرأيت أن أشغل نفسي بشكر الله تعالى على النعمة والاستغفار من الذنوب فقال له الحسن أنت يا عبد الله أفقه عندي من الحسن فالزم ما أنت عليه .

وقيل بينما أويس القرني جالس إذ أتاه هرم بن حيان فقال له أويس ما جاء بك قال جئت لآنس بك فقال أويس ما كنت أرى أن أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره وقال الفضيل إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت أخلو بربي وإذا رأيت الصبح أدركني استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجيئني من يشغلني عن ربي .

وقال عبد الله بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة قيل له وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة .

وقال ذو النون المصري سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه .

وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله D عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمى